Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فقط، بل كان يلتزم حرفين أو أكثر في أغلب مقاماته ورسائله كما رأينا في النماذج السابقة. . . . وإذا استثنينا ما قصد فيه إلى التعقيد، والألغاز بمصطلحات النحو أو الفقه، أو بالمراوحة بين الإعجام والإهمال: كلمة كلمة أو حرفاً حرفاً أو غيرها من ألوان التعقيدات التي أشرنا اليها. . . إذا استثنينا كل هذا، نراه بارعاً في فنه، قادراً على إحكام صنعه، خضعت له الألفاظ، واستسلمت له المعاني، تمده في ذلك قريحة ملهمة، وذخيرة لغوية لا تنفد، ومن ثم كان يختار لسجعه من الألفاظ أقواها جرساً، وأقربها ألفة، كذلك كان في تجنيسه الذي أغرم به، وافتن فيه إلى أبعد حد حتى أذهل أدباء العصر، وفي بلاغته تلك يقول العماد: (وشي بلاغة الحريري ذهبي الطراز، سحباني الإعجاز، قسي الإسهاب والإيجاز).

على أن هذه الذخيرة اللغوية التي مكنته أن يضع الكلمة في مكانها، ويشد اللفظة بأختها، مكنته أيضاً أن يتلاعب في شعره بالألفاظ، فتارة ينشئه ليقرأ طرداً ورداً، كما رأينا، وتارة ينظمه على قافيتين: خارجية وداخلية، تقوم إحداهما مقام الأخرى. . . استمع إليه يقول:

يا خاطب الدنيا الدنية إنها ... شرك الردى [وقرارة الأكدار]
دارمتى ما أضحكت في يومها ... أبكت غداً [بعداً لها من دار]
غاراتها ما تنقضي وأسيرها ... لا يُفتدَى [بجلائل الأخطار]

أليس في الأبيات قافية داخلية؟، فلو قرئت مجزوءة لصارت:

يا خاطب الدنيا الدنيـ ... ـية إنها شرك الردى
دار متى ما أضحكت ... في يومها أبكت غدا
غاراتها ما تنقضي ... وأسيرها لا يفتدى

ومن ذلك نعلم أن الأسلوب كان غايته، وفيه تجلت براعته الفنية.

* * *